@ 469 @ خلفهم على الرسل لفظاً ، وهو يعود على رسل أخرى معنى ، فكأنه قال : جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلف رسل آخرين ، فيكون كقولهم : عندي درهم ونصفه ، أي ونصف درهم آخر ، وهذا فيه بعد . وخص بالذكر من الأمم المهلكة عاد وثمود لعلم قريش بحالهما ، ولوقوعهم على بلادهم في اليمن وفي الحجر ، وقال الأفوه الأودي : % (أضحوا كقيل بن عنز في عشيرته % .

إذ أهلكت بالذي سدى لها عاد .

. %)

% (أو بعده كقدار حين تابعه % .

على الغواية أقوام فقد بادوا .

. %)

.

{ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ } : يصح أن تكون أن تفسيرية ، لأن مجيء الرسل إليهم يتضمن معنى القول ، أي جاءتهم مخاطبة ؛ وأن تكون مخففة من الثقيلة ، أي بأنه لا تعبدوا ، والناصبة للمضارع ، ووصلت بالنهي كما توصل بإلا ، وفي نحو : { أَن طَهِّرَا } ، وكتبت إليه بأن قم ، ولا في هذه إلا وجه للنهي . ويجوز على بعد أن تكون لا نافية ، وأن ناصبة للفعل ، وقاله الحوفي ولم يذكر غيره . ومفعول شاء محذوف ، وقدره الزمخشري : لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة . انتهى . وتتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفاً إلا من جنس الجواب ، نحو قوله تعالى : { وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى } : أي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه ، وكذلك : { لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً } ، لو نشاء جعلناه أجاج } ، { * } ، { وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ } ، { وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ } ، { لَوْ شَآء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَىْء } . قال الشاعر : % (فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد % .

ولو شاء ربي كنت عمر بن مرثد .

.

. %)

وقال الراجز : % (واللذ لو شاء لكنت صخرا % .

أو جبلاً أشم مشمخرا .

. %)

.

فعلى هذا الذي تقرر ، لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري ، وإنما التقدير : لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسالة منه إلى الإنس لأنزلهم بها إليهم ، وهذا أبلغ في الامتناع من إرسال البشر ، إذ علقوا ذلك بأقوال الملائكة ، وهو لم يشأ ذلك ، فكيف يشاء ذلك في البشر ؟ { فَإِنَّمَا * بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } : خطاب لهود وصالح ومن دعا من الأنبياء إلى الإيمان ، وغلب الخطاب على الغيبة ، نحو قولك : أنت وزيد تقومان . وما مصدرية ، أي بإرسالكم ، وبه توكيد لذلك . ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي ، والضمير في به عائد عليه ، وإذا كفروا بما تضمنه الإرسال ، كان كفراً بالإرسال . وليس قوله : { بِمَا أُرْسِلْتُمْ } إقراراً بالإرسال ، بل هو على سبيل التهكم ، أي بما أرسلتم على زعمكم ، كما قال فرعون : { إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ } . .

ولما بين تعالى كفر عاد وثمود على الإجمال ، فصل بعد ذلك ، فذكر خاصية كل واحدة من الطائفتين . فقال : { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ } : أي تعاظموا عن امتثال أمر ا وعن ما جاءتهم به الرسل ، { بِغَيْرِ الْحَقّ } : أي بغير ما يستحقون . ولما ذكر لهم هذا الذنب العظيم ، وهو الاستكبار ، وكان فعلاً قلبياً ، ذكر ما ظهر عليهم من الفعل اللساني المعبر عن ما في القلب ، { وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً } : أي لا أحد أشد منا ، وذلك لما أعطاهم ا من عظم الخلق وشدة البطش . فرد ا تعالى عليهم بأن الذي أعطاهم ذلك هو أشد منهم قوة ، ومع علمهم بآيات ا ، كانوا يجحدونها ولا يعترفون بها ، كما يجحد المودع الوديعة من طالبها مع معرفته بها . ولفظه كان في كثير من الاستعمال تشعر بالمداومة ، وعبر بالقوة عن القدرة ، فكما يقال : ا أقدر منهم ، يقال : ا أقوى منهم . فالقدرتان بينهما قدر مشترك ، وإن تباينت القدرتان بما لكل منهما من الخاصة .